

1

البكاء على الحسين عليه السلام

وأثره في تكامل النفس والمعرفة

بحوث سماحة آية الله
الشيخ محمد السند



بقلم
رياض الموسوي

من أصدارات
مركز الأمير (ع) الثقافي
النجف الأشرف

سلسلة الشعائر الحسينية (١)

البكاء على الحسين عليه السلام
وأثره في تكامل النفس والمعرفة

بحوث سماحة آية الله

الشيخ محمد السند



بقلم

رياض الموسوي

من إصدارات

مركز الأمير (ع) الثقافي

النجف الأشرف

الكتاب: البكاء على الحسين عليه السلام وأثره في تكامل النفس والمعرفة

بحوث سماحة آية الله الشيخ محمد السند

بقلم : رياض الموسوي

الطبعة: الأولى/ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

العدد: ١٠٠٠ نسخة

المطبعة: الرائد للطباعة والتصميم – النجف الأشرف

الناشر: مركز الأمير (ع) الثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (418) لسنة ٢٠١٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

بعد النجاح الواضح لكتاب (الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد)، الذي صدر قبل أعوام ..وإتساع رقعة إنتشاره، بحيث طُبع عدة مرات في إيران وبيروت والعراق ...

واصلتُ البحث مع إستاذي الجليل آية الله الشيخ محمد السند (حفظه الله) في موضوع الشعائر الحسينية ..ولمدة عدة سنوات إبتداءً من مشهد المقدسة، ثم قم وصولاً الى النجف الأشرف ..ولا زلت عاكفاً على هذا الموضوع الإسلامي المهم .. والذي يعتبر من أركان الدين الحنيف.

لذا إرتأيتُ وبعد إستشارة إستاذي الجليل سماحة الشيخ السند، أن تظهر هذه البحوث الإسلامية خلال سلسلة وعنوانها بمحتواها .. (سلسلة الشعائر الحسينية) ، والتي سوف نصدرها تباعاً، إن شاء الله تعالى.

عسى أن نوفّق بإبراز وإظهار هذا التحقيق العلمي الإسلامي في موسوعة متكاملة بمعظم أبوابه وفصوله وقواعده وأركانه ..

وبين يدك أيها القارئ الكريم باكورة هذه لسلسلة، وموضوعها: (البكاء على الحسين عليه السلام وأثره في تكامل النفس والمعرفة).

والله أسأل: يتقبّل منّا هذا العمل البسيط بالقبول الحسن، وأن يجعلنا ممن يذكر الحسين عليه السلام ويشيد معالمه وأهدافه وشعائره.

رياض الموسوي

النجف الأشرف

٢٦ / ذي الحجة / ١٤٣٣ هـ

ـ إن البكاء من الشعائر الحسينية المنصوص عليها بالخصوص كتاباً وسنة ، ونذكر بدايةً معنى البكاء في اللغة ثم نمضي في البحث تدريجاً .

البكاء في اللغة:

ـ البكاء بالمد، كما في تصريح غير واحد من أهل اللغة بالفرق بينه ممدوداً ومقصوراً. ففي الصحاح ومجمع البحرين، البكاء يُمد ويقصّر، فإذا مددتَ أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصرت أردت الدموع وخروجها.

وفي المجمل: قال قوم: إذا دمعت العين فهو مقصور، وإذا كان ثمّ نشيج وصياح فهو ممدود.

وعن الخليل، إذا قصرت البكاء فهو بمعنى الحزن، أي ليس معه صوت، وإذا كان معه نشيج وصياح فهو ممدود.

قال الراغب: بالمد سيلان الدمع على حزن وعويل. يقال: إذا كان الصوت أغلب ـ وبالقصر: يقال إذا كان الحزن أغلب.

وبعد هذه المقدمة في بيان معنى البكاء في اللغة نذكر نبذة تمهيدية وبعض المصادر في ذلك :

بعض أدلة البكاء من مصادر المسلمين

الأول : البكاء على الحسين عليه السلام من سنن النبي صلى الله عليه وآله ، فقد أمر صلى الله عليه وآله بها ، وربّى عليها المسلمين .. وقد كفى العلامة الأميني قدس سره الباحثين مؤونة التتبع لهذه المصادر [١]، وكذا قام بذلك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في رسالته في الشعائر الحسينية .

الحث على البكاء بصورة عامة:

ـ منه : قوله صلى الله عليه وآله : «لكن حمزة لا بواكي له» [٢]

ـ قوله صلى الله عليه وآله: «فعلى مثل جعفر فلتبكِ البواكي» [٣]

ـ بكاؤه صلى الله عليه وآله يوم توفي عمه أبو طالب [٤]

---

١. للمزيد من الإطلاع حول ذلك ، راجع كتاب (الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد ، محاضرات الشيخ محمد السند ، بقلم رياض الموسوي ، دار الغدير ، قم ، ص:٤١٧) .

٢. الاستيعاب ح ١: ٣٧٤.

٣. النص والاجتهاد: ٢٩٦.

٤. السيرة الحلبية باب أبي طالب وخديجة .

ـ ومنه : بكاؤه ﷺ يوم استشهاد حمزة وجعفر وما روي في شدة بكائه ﷺ على عمه حمزة حتى أُغمي عليه.[1]

ـ ومنه : بكاؤه ﷺ على قبر أمه آمنة .[2]

ـ ومنه : ماروي أن فاطمة عليها السلام كانت تبكي وتصلي عند قبر عمّها حمزة كل يوم جمعة.[3]

الثاني : مصادر أهل السنة في بكاء السماء على الحسين عليه السلام....

فقد ورد في تفسير الطبري ، سورة الدخان في ذيل الآية الكريمة : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.[4]، حيث ذكر بسنده عن السدي قال : (لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها)[5].

-كما ذكر ابن كثير في تفسيره ، بسنده عن عبيد المكتب عن إبراهيم ، قال : (مابكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على إثنين ، قال :

1. ذخائر العقبى: ١٨٠.
2. الدر المنثور للسيوطي. ج٣ : ٢٨٤
3. وفاء الوفاء للسمهودي ج٣: ١٣٦١.
4. الدخان: ٢٩.
5. تفسير جامع البيان ، ابن جرير الطبري جزء ٢٥ : ١٦٠.

وماتدري بكاء السماء؟ قلت : لا. قال : تحمر وتصير وردة كالدهان : إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء ، وقطرت دما ، وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء) .[١]

- ومارواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج١٤ :١١١) — ومارواه ابن ابي حاتم الرازي في تفسيره (ج١٠: ٣٢٨٨) .
- وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : (...يا زرارة أن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم).[٢]
- وأصل مفاد هذه الروايات هو مامر من قوله تعالى في آية الدخان ، من أن شأن السماء والأرض هو البكاء على الأولياء ، لا على المستكبرين والعصاة .
- ولابأس بذكر الآيات الآفاقية التي ظهرت بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام منها :

---

١. تفسير ابن كثير ج:٤ ص:١٥٤.

٢. كامل الزيارات/ باب ٢٦: حديث ٨ : ١٦٧ .

- بكاء السماء حزناً على الحسين عليه السلام .[1]
- تغير الآفاق وسقوط التراب الأحمر .[2]
- ظهور الكواكب نهاراً[3]
- لم يُرفع حجر في ذلك اليوم إلا وتحته دم عبيط يغلي .[4]
- مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقة (دم) .[5]
- بقيت الشمس زماناً تطلع محمرة على الحيطان والجدر بالغداة والعشي .[6]
- حدوث الحمرة في السماء كأنها الدم .[7]

---

١. كامل الزيارات/ باب ٢٦: حديث ٨ : ١٦٧ .

٢. تهذيب الكمال، ٦: ٤٣٢ .

٣. مجمع الزوائد، ج٩: ١٩٧ – تهذيب الكمال.

٤. كامل الزيارات باب ٢٤ /ح٢ .- كفاية الطالب: ٤٣٣.

٥. مجمع الزوائد، ج٩، ١٩٦.

٦. مجمع الزوائد، ج٩: ١٩٦.

٧. مجمع الزوائد، ج٩: ١٩٧.

- أصبحت الكواكب يضرب بعضها بعضا.[١]
- إصابة العمى من أخبر بمقتل الحسين (عليه السلام).
- أمطرت السماء دماً عبيطاً ثلاثة أيام.[٢]
- كانت حيطان دار الإمارة تسيل دماً.[٣]
- أصبحت حيطان بيت المقدس ملطخة بالدماء.[٤]
- صيرورة الورس[٥] الذي نهبوه من معسكر الحسين (عليه السلام) رماداً.[٦]
- ماطبخ من لحوم نياق معسكر الحسين (عليه السلام) أصبح ناراً ولم يتمكنوا من أكله[٧].

---

١. مجمع الزوائد، ج٩: ١٩٧.

٢. تاريخ حلب، ٦: ٢٦٤٩.

٣. تهذيب الكمال، ج٦: ٤٣٤.

٤. كامل الزيارات، باب ٢٤ /ج٢.

٥. الوَرس: نبت أصغر يُصنعُ به الثياب.

٦. الخصاص الكبرى، ج٢: ١٢٦، تاريخ حلب، ج٦: ٢٦٣٧، تهذيب الكمال، ج٦: ٤٣٤.

٧. ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لأبن عساكر، ٣٦٤.

- الكسوف للشمس.[1].
- الجبال تقطعت وانتثرت .[2]
- البحار تفجرت .[3]
- بكاء الوحوش عند قبره .[4]
- إنشباك النجوم .[5]
- أمطرت السماء تراباً أحمراً.[6]

- وقد ورد : (إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاؤها).[7]

الثالث : ارتباط البكاء مع المودة: فإن أحد أدلة البكاء هي : آية المودة، لاسيما مع الالتفات الى إن المودة من أصول الدين وارتباط

---

١. مجمع الزوائد: ٩ : ١٩٧ – الصواعق المحرق ٨٦ - كامل الزيارات: باب ٢٦ / ٨.

٢. كامل الزيارات: باب ٢٦ / ٨.

٣. كامل الزيارات: باب ٢٦ / ٨.

٤. كامل الزيارة باب ٢٦ / ٣.

٥. كامل الزيارات باب ٢٤ /ح٢.

٦. تهذيب الكمال، ٦: ٤٣٢.- كامل الزيارات : باب ٢٨ / ج٢.

٧. كامل الزيارات: باب ٢٦ / ج٩.

ذلك بالقاعدة القرآنية من إرتباط المواساة بالحزن للمصاب كمقتضي من مقتضيات المودة ، أي أن المؤمن يفرح لفرح النبي ويحزن لحزنه..

وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾.(١)

الرابع : البكاء سنة تشريعية وتكوينية ، أما كون البكاء سنة تشريعية ، فلما مر من الأمر به كتاباً وسنةً مضافاً إلى ما قدمناه في الجزأين السابقين من كتاب الشعائر الحسينية ، واما كونه سنة تكوينية فلما أشارت إليه آية الدخان المتقدمة ، وما ورد في ذيلها من أحاديث عن النبي ﷺ ، وأهل بيته عليهم السلام في ذلك .

الخامس : وقد ورد أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين يوماً، ففي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي بسنده عن وكيع عن سفيان ، عن

---

١. التوبة : ٥٠ .

أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن إبن عباس قال : (الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً) .[1]

وإذا كان هذا حال الأرض تجاه المؤمن فكيف حالها مع أئمة المؤمنين عليهم السلام .

السادس : إن أحد أدلة رجحان البكاء والحزن على المصطفين الحجج على العباد من الأنبياء والرسل والأئمة الأوصياء المنصوبين من قبل الله تعالى، هو قوله تعالى في شأن يعقوب ، وحزنه على النبي يوسف ، لا بما هو ولد له ، بل لخصيصة نبوة يوسف وإمامته : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2]

فإن ابيضاض عيني يعقوب من شدة البكاء واستمرار حزنه وكمده حتى قال له أهله : (تالله إنك لفي ضلالك القديم) ، ولم

---

١. مصنف ابن أبي شيبة ج٨: ١٩٨

٢. يوسف:٨٤-٨٦ .

يقطع بكاءه بسبب الخوف من الهلكة ، ولا خوف ذهاب بصره ، وهذا يدل على عظمة أهمية البكاء على المصطفين من حجج أنبياء وأئمة ، بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . أي أن قصصهم عليهم السلام عبرة ليتخذ منها سنة، ولتكون قدوة للعالمين .

السابع : ماورد في زيارة الناحية المقدسة : (فلأندبنك صباحاً ومساءاً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً).[١]

وتقريب مفاده، أن البكاء على مصاب الحسين عليه السلام يتأكد استمراره ولو أدى الى خروج الدم من العين بسبب الاستمرار والشدة، وتعبير المعصوم عليه السلام يجل عن الخيال ، ويرتفع عن التصوير الشاعري ، بل هو بيان حقيقة وتثبيت مفهوم واقعي ، وهذا عين مفاد مامر في بكاء النبي يعقوب عليه السلام في سورة يوسف

الثامن : ماورد من أن البكاء نفسه خشوع، لذا نرى أن القرآن الكريم يمتدحه، بينما يذم الضحك والفرح.

١. المزار المشهدي :٥٠١ ، بحار الانوار ج٩٨ :٢٣٨ .

فلا يخفى من أن مقتضى قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [1]

إن البكاء مقابل الفرح ، فالأول إنكسار النفس عن الطغيان والتجبر والتكبر ، والثاني تبختر النفس وخيلاؤها بالنزعة الذاتية ، وهذه فلسفة عظيمة تربوية في كمال النفس نتيجة البكاء ، معاكسة لرذيلة الفرح والبطر .

---

١. القصص ٧٦ .

ـ ردّ ونكير السجاد عليه السلام على الكف عن البكاء

فقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات ، بسنده عن إسماعيل بن منصور، عن بعض أصحابنا: قال: أشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه، وقال: ويلك، أو ثكلتك أمك..

والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت، حتى قال: «يا أسفي على يوسف»، إنه فقد إبناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي». [1]

---

١. كامل الزيارات : باب ٣٥/ ح٢.

حقيقة البكاء على الحسين عليه السلام شكوى إلى الله، وليست شكوى من الله.

البكاء على الحسين عليه السلام خطاب مع الله.

ـ حبث روي في طريق آخر لابن قولويه، وهو صحيح إلى أبي داود المسترق، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بكى علي بن الحسين عليه السلام على أبيه الحسين بن علي عشرين أو أربعين. وما وُضع بين يديه طعام إلّا وبكى على الحسين عليه السلام. حتى قال له مولىً له، جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا وخنقتني العبرة. [1]

ـ «وأعلم من الله ما لا تعلمون..» أي أعلم أن البكاء مفتاح للفرج، ومدعاة للتيسير، وأداة لرفع الكرب والغمة.. ومجلبة لإزالة

---

١. كامل الزيارات : باب ٣٥/ ح١.ـ ورواه الصدوق في الأمالي ص: ١٤٠ ـ والخصال (٢٧٢).

الضيق والمحنة، لذا جعل القرآن هذين شعارين وعنوانين للبكاء، عندما اعترض أولاد يعقوب على أبيهم كثرة البكاء، فأجابهم على استنكارهم، «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله...».

. ويدل تأكيد هذين العنوانين بإن هوية البكاء على مظلومية الحجج عليهم السلام ماقاله يعقوب أيضا بعد ان ارتد بصيرا وجاءته البشرى بلقاء يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ . أي أن البكاء شكوى الى الله لطلب الفرج ، وهذا هو.. قد جاء الفرج ؛فالشاكي إلى الله ببكائه يطلب منه العدوى ، والله يعلم بتوكله عليه تعالى من دون يأس من روح الله سبحانه .

الصرخة والصيحة والعويل والشهقة أنواع في شعيرة البكاء

ـ وقد ورد في ذلك عدّة من الروايات في الزيارات وغيرها:

١ ـ ما رواه ابن قولويه[1]، من زيارة طويلة في الحسين عليه السلام، وفيها: «... أتقرّب إلى ربّي بوفودي إليك وبكائي عليك وعويلي[2]؛ وحسرتي وأسفي وبكائي... جئتك مستشفعاً بك إلى الله، اللهمّ إني استشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيتك مشفقون. ومن عذابك حذرون ولا تغيّرهم الأيام، في نواحي الحير يشهقون، وسيدهم يرى ما يصنعون، وما فيه يتقلّبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، لم تجف ولم تسكن، واشتد بهم الحزن بحُرقة لا تطفأ».

١. كامل الزيارات باب ٧٩: ح٢٣.

٢. العويل: رفع الصوت بالبكاء.

٢ ـ وفي صحيحة معاوية بن عمار التي هي قطعية الصدور : أنه دخل على أبي عبد الله عليه السلام فوجده يدعو لزوار الحسين عليه السلام . في دعاء طويل . الى ان قال عليه السلام : (فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس ، وإرحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام .... وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا ، وارحم الصرخة التي كانت لنا).[1]

١. الكافي ج٤ : ٥٨٣ . كامل الزيارات باب :٤٠ /ح٢ .

البكاء على الحسين عليه السلام، مناجاة مع الله

(الفلسفة الكبرى للبكاء)

. روى ابن قولويه في كامل الزيارات في الصحيح عن أبي داود المسترق عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون». إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك».[1]

ـ وروى ابن قولويه أيضاً في الصحيح عن إسماعيل بن منصور عن بعض أصحابنا، قال: أشرف مولىً لعلي بن الحسين عليه السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه وقال: ويلك ـ أو ثكلتك أمك ـ والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل ممّا رأيت حتى قال: يا أسفي

---

١. كامل الزيارات: باب ٣٥/ ١. الصدوق في أماليه وخصاله.

على يوسف، إنه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي».[1]

ـ والذي يلفت النظر في هاتين الواقعتين للإمام علي بن الحسين عليه السلام جملة من الأمور والزوايا:

. الأولى: تبيّن فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام، إذ كما هو ثابت في روايات الفريقين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على ابنه الحسين عليه السلام منذ ولادته، بل قبلها وبعدها، وأتخذ البكاء عليه عملاً وسيرة دأب صلى الله عليه وآله وسلم عليها. وكذلك ما روى عن فاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام وبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وروى ابن قولويه والصدوق مستفيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام عن الحسين عليه السلام: «يا عبرة كل مؤمن». أو قول الحسين عليه السلام: «أنا قتيل العبرة».[2]

١. كامل الزيارات: باب ٣٥/ ح٢.

٢. كامل الزيارات: الصدوق في الأمالي: مجلس ٢٨. كامل الزيارات: باب ٣٦ .

فإن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، قد قضى طيلة عمره باكياً على أبيه الحسين عليه السلام (ما يقارب أثنا عشر ألف يوم طوال ٣٤ سنة قمرية) [1] (٣٤ × ٣٥٠)..

وكذلك بقية أئمة أهل البيت كما روي ذلك كثيراً عن الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، وصاحب العصر والزمان (عج).

فالبكاء على الحسين ظاهرة منتشرة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وواضحة في طقوس أعمالهم سلام الله عليهم.

ومن البديهي أن المعصوم لا يشغل وقته إلّا بما يصبّ في التكامل، والسير في القرب الإلهي، وإلّا فالمعصومون لاسيما سيد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام، منّزهون أن يشغلوا أعمالهم وأوقاتهم في الأمور العادية، بل ولا الراجحة اليسيرة. فمن ثمَّ لا بدّ من كون البكاء على خصوص الحسين عليه السلام هو ذو بُعد وغاية غير ما يحسبه ويتخيله الكثير من الناس.

١.ناتج الضرب: ٣٤ × ٣٥٠ = ١١٩٠٠ يوماً.

وإلّا فإن المعصومين دائبون في ذكر الله والانشغال بالصلاة بكمٍ كبير والصيام والدعاء والمناجاة والابتهال وبقية أبواب العبادات؛ من السياحة والقنوت والخشوع وغيرها..

الثانية: أن بكاء السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، كان في حال السجود، وسواء افترضناه سجود للصلاة، أم سجود مستقل، فهو عبادة لله، فكيف يبكي السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، ويذكر ما جرى على الحسين عليه السلام وهو في حالة ذكر الله ومناجاة مع الله سبحانه، لاسيما وأن السجود هو من أعظم حالات العبادة والقربة إلى الله سبحانه، كما ورد أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد. كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

لاسيما أن مولى الإمام زين العابدين عليه السلام، ذكر الرواية التي بهذا المضمون رغم كون الإمام ساجداً ـ قد فهم من حالة الإمام أن بكاءه هو على أبيه الحسين عليه السلام، ممّا يدلّ على أن بكاءه على الحسين عليه السلام كان عادةً له حتى في حالات العبادة لله.

الثالثة: قوله عليه السلام، أن عنوان البكاء على الحسين عليه السلام، وشعاره هو عنوان وشعار بكاء يعقوب على ابنه يوسف. وهو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾..

وهذا القول من يعقوب إنما قاله بعدما اعترض عليه ذويه، وولده حيث ذهبت عيناه من الحزن والبكاء على يوسف كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

فيكون هذا العنوان والشعار جواباً على الاعتراض الموجه على يعقوب ببكائه على يوسف. وعتابهم عليه، وتذمّر المعترضين من طول هذا البكاء، فيكون مفاد هذا الجواب، أن بكاء يعقوب على مصاب فَقْد يوسف ليس موجهاً لهؤلاء المعترضين، وليس هو وسيلة للشكاية لهم، وإنما البكاء شكاية إلى الله، وطلب الفرج منه واستنزال الغوث منه تعالى، إذ أن حقيقة البكاء هو شكاية و استغاثة من السبب والمنشأ الذي حصل البكاء منه، وهو موّجه لمن يخاطب به البكاء كنداء ودعاء وطلب وإستعداء، كما في بكاء الطفل يوجهه لامه وأبيه فانه استدعاء من الطفل لكي يجلب توجه أبويه له للعطف عليه

وتلبية حاجته، وكلما زاد في بكائه لهما زاد إلحاحه لهما، وهو إلحاح في الدعاء الذي هو من أعظم حالات الدعاء، فالبكاء لهما حالة إنعطاف وإستنزال للرحمة والغوث.

لأن حقيقة البكاء كما توضحه الآية بنصها أنه شكاية واستغاثة ونداء، واستعداء.. ولهذه الحقيقة من البكاء يشير قوله عليه السلام في دعاء الندبة الذي هو (ندبة وبكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام وابتلاء الإمام المهدي(عج) بالغيبة): «اللهم أنت كشاف الكرب والبلوى وإليك استعدي فعندك العدوى، وأنت رب الآخرة والأولى، فاغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلى».

وهذه الحقيقة للبكاء، نشهدها ونجدها عياناً في ارتكاز الفطرة. فإن الطفل عندما يبكي، يوجه بكاءه لأمه وأبيه طلباً لرفع حاجته واستغاثةً بهما ونداءً لهما؛ واستنزالاً للعون منهما. فالبكاء استدعاء وسؤال لرفع الكرب والبلاء، وطلب للغوث والعون. فإذا كانت هذه حقيقة البكاء، فيبين النبي يعقوب عليه السلام، أن البكاء إنما يوجهه إلى غياث المستغيثين، وكاشف الكرب والبلوى وإلى قاضي الحاجات وكافي الملمات فهو شكوى إلى الله وليس شكوى من الله، وكم فرق وبون بينهما. بأن يكون شكوى من الله فهو سخط على قضاء الله

وقدره، فيوجه الباكي بكاءه وشكايته إلى المخلوقين فيشكو الله للمخلوقين . بخلاف ما إذا كان شكوى إلى الله سبحانه، فهو استغاثة بالله ونجوى مع الله، ودعاء إلى الحضرة الربوبية، فكلما استمر واشتد البكاء، فهو اشتداد للدعاء بانكسارٍ، وهي من الحالات الفضلى للدعاء وإستجابته، وزيادة في المناجاة واشتداد لعبادة الله سبحانه، وإلحاح للطلب من الله، فيكون البكاء مخّ العبادة. فهو مخّ السجود، فكيف يُعترض على الدعاء الموّجه إلى الحضرة الربوبية، وكيف يطالب الباكي بهذا العنوان أن يقطع بكاءه أو أن يفتر في بكائه؛ وكيف يُتبّرم من هذا البكاء، الذي هو دعاء ومناجاة مع الله، ونداء واستغاثة من قاضي الحاجات، بل إذا استمر واشتد هذا البكاء، يكون دليلاً على شدة الإيمان واليقين برجاء الله سبحانه، وقدرته تعالى على كشف أحلك العقد وأشدّها، وأعظم الكُرب وأبلاها، ومن ثمّ قال النبي يعقوب عليه السلام، أن العنوان الثاني للبكاء هو: «وأعلم من الله ما لا تعلمون»، يعني معرفته بالله وبرجاء الله وقدرة الله سبحانه، وعظمته الغالبة على كل شيء قادرة على رفع اليأس، ورفع شديد البلاء وعظائم الكرب، وقاسي المحن. فالبكاء أمل ورجاء وثقة بالله العلي العظيم..

وإلى ذلك تشير الآيات في سورة يوسف مرة أخرى :﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٩) قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ . فكرر يعقوب عليهم وذكرهم بفلسفة وغاية البكاء ، وأن بكاءه لم يكن عديم الغاية وكان ضلالاً، بل هو هدى وفلاح ونجاح حيث ذكر القرآن الكريم على لسان يعقوب : (ألم أقل لكم اني اعلم من الله مالا تعلمون) . أي أن البكاء وبث الشكوى والهم والحزن إلى الله تعالى ،لا إلى غيره هو دعاء وسؤال وطلب حاجة من الله تعالى . فمن يبكي ويتوجه ببكائه إلى الساحة الإلهية، يدل على قوة توكله على الله تعالى ، وقوة معرفته بعظمة قدرة الله على كل شئ ، ولا ييأس من روح الله ، فإدمان البكاء هو إلحاح في الدعاء والطلب ؛ ومن ثم، اعتذروا عن تسفيههم بكاء يعقوب وعن تضليلهم لحزنه الطويل وعن إستهجانهم إدمان ذكره ليوسف ، وعرفوا أن مأتم يعقوب على مصاب يوسف أمر حق وهدى وفلاح ونجاح ومن

أسباب توفيق القدر ؛ فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ذنبهم وخطيئتهم .

الرابعة: صيرورة البكاء على الحسين عليه السلام منشأ ذكر لله عند المعصومين، وبكاء وحزن قربي إليه تعالى. وليس ذلك للمعصومين فقط، بل لجميع الأنبياء السابقين فهذا البكاء قَلب حياة السجاد عليه السلام إلى رياضة، وذِكر لله تعالى، حيث يتوجه وكذلك صنع بجدّه النبي صلى الله عليه وآله، حيث قلب العديد من أوقاته الشريفة إلى بكاء ولون خاص من ذكر لله تعالى، حيث يتوّجه صلى الله عليه وآله بإنكسار بذلك البكاء بمثابة شكاية يتوجه بها إلى الله، والبكاء حزن، والحُزن محبوبٌ عنده تعالى، حيث قال تعالى في الحديث القدسي: «.. أنا عند المنكسرةِ قلوبهم»[(١)].

وكذلك صنع هذا البكاء بفاطمة عليها السلام، فإنه أورثها الحزن والأسى في حياتها، بل وفي عالم البرزخ، حيث وردت الروايات المستفيضة في كامل الزيارات وغيرها من المصادر الدالة على أن الزائر للحسين عليه السلام من المؤمنين والمؤمنات يُسعد فاطمة.. على بكائها على

١. كامل الزيارات: (بحار الأنوار ح٧٣/ ١٥٧) عن نوادر الراوندي.

مصابه عليه السلام، فعن الصادق: «ما في الأرض مؤمنة إلّا وجب عليها أن تُسعد فاطمة، في زيارة الحسين عليه السلام».[١] وان بكاءهم عند قبره الشريف يُسعدها أيضاً .

وكذلك أبكى عليه السلام والده أمير المؤمنين في مواطن عديدة، وأبكى أخاه الحسن عليه السلام، وكلّ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك صَنع بابنه الحجّة(عج) حيث قال: «ولأندبنّك صباحاً ومساءً؛ ولأبكينّ عليك بدلَ الدموع دماً».

الخامسة: ومن هنا يظهر معنى وفلسفة فضيلة وكمال دوام ذكر مصابه ليلاً ونهاراً بنحو رتيب ودائم.. حيث أن البكاء عليه هو توّجه إلى الله بنحو دائم، ومناجاة للساحة الإلهية.. فكيف لا يدوم رجحانه وفضيلته..

١. مستدرك الوسائل: ج ١٠، ص ٢٥٩

السادسة: قوله عليه السلام: «والله لقد شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت، حتى قال: يا أسفي على يوسف؛ إنّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيتُ أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي».

والمعروف، أن يعقوب بكى على يوسف عشرين عاماً [(١)]، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم. هذا مع علم يعقوب بأن ابنه على قيد الحياة بسبب الوحي الذي أوحي إلى يوسف في رؤياه، بأنه ينال المُلك، مع أن المصاب الذي حصل ليعقوب جرّاء فراق يوسف دون مصاب سيد الشهداء عليه السلام، كما أن شأن يوسف هو دون شأن الحسين عليه السلام، فكيف بضميمة من كان مع الحسين عليه السلام من أهل بيته. وفي تفسير القمي صحيحة هشام بن سالم وقد رواها الصدوق [(٢)]، أنه قد سئل أبو عبد الله، ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف، قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها».[(٣)]

١. بحار الانوار ج١٢ :٢٤٤.

٢. رواها الصدوق، بسند صحيح كما في قصص الأنبياء للراوندي.. بحار الأنوار ج١٢/ ٢٩١.

٣. تفسير القمي/ ذيل الآية.

وكلّ هذا الحزن هو دون ما يستحقه مصاب سيد الشهداء عليه السلام، فهو عليه السلام يشير إلى أن مصاب سيد الشهداء وما احتواه من فوادح تستحق من المعصوم أن يطوي عمره جزعاً وبكاءً بشدة، فكيف بغير المعصوم تجاه سيد الشهداء ، وذلك بسبب ما يستحقه مقام سيد الشهداء، وبالتالي فعدم التجاوب وعدم التأثر مع عظم الظلامة والمظلومية وما يستحقه هذا المصاب، يُعتبر تقصيراً في أداء ذلك الاستحقاق، بل لا يقف الأمر على حدود التقصير، بل يتجاوزه إلى درجة الجفاء، والجفاء يؤدي إلى الخذلان، ودرجة الاصطفاف مع الراضين بما جرى عليه من الظلم، وذلك لأن كلّ منكر يستدعي تقبيحاً بدرجة شدة المنكر، فإذا قلّ التقبيح والتبّرم والنفرة منه دون درجته المستحقة من الشدة، كان النقصان رضا وتمايل إلى المنكر بالنسبة في الجملة.

فكل منكر يستدعي بحسب قباحته درجة من النفرة والتبرم والكراهية بحسب مالذلك من قباحة . وعلى العكس ، المعروف يستدعي إنجذاباً ورغبةً وتمايلاً بدرجةٍ بحسب مالذلك المعروف من حسن ومحاسن . فالتفريط بأحد الجانبين تخادع عن الحق والحقيقة، بل هو إصطفاف مع الباطل والبطلان، ومن هنا نفهم إستنكار الإمام

السجاد عليه السلام على إعتراض وتعجب ذلك الشخص من مقدار بكاء وحزن زين العابدين عليه السلام وتبرمه من الظلم الذي جرى على سيد الشهداء عليه السلام ، بل في بعض الروايات، أن جزع وبكاء فاطمة الزهراء عليها السلام على سيد الشهداء عليه السلام ، أشد بمراتب من جزع زين العابدين عليه السلام . حتى ان الإمام السجاد عليه السلام إشتد بكاؤه وجزعه من جزع الزهراء عليها السلام وبكائها، ووجدها على سيد الأنبياء . فقط كان من الحجم والمقدار والشدةِ لم يتحمله، ولم يطقه أهل المدينة ، فمانعوها عليها السلام من ذلك ، وألجأوها لإقامة بيت للأحزان خارج المدينة وهذا تعليم تربوي معرفي كبير من الزهراء عليها السلام للبشرية بأن فقد محمد صلى الله عليه وآله هو أعظم المصائب على كل إنسان، ولا يصاب الإنسان بخسارة فادحة ومصاب عظيم بمثل تلك الخسارة بمصاب فقد نبي الله الخاتم صلى الله عليه وآله ؛

فكان بكاء الزهراء عليها السلام وجزعها العظيم ، بحجم وبمقدار مايستدعي رسول الله صلى الله عليه وآله من تناسب وإنجذاب إليه وشوق ودرجة عالية من الرغبة نحوه . وهو قدر معرفة الزهراء عليها السلام بعظم مقام وسمو منزلة ورفيع كمال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

وهذا عكس ما رفعه أبو بكر من شعار، (أنه من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات) .[١]

فان هذه المقالة هي فاتحة أعمال أبي بكر ، وتعكس مدى الجهالة والنكران لحقيقة وعظمة مقام ومكانة ومنزلة النبي الأكرم ﷺ ؛ التي إستعظمها القران الكريم في عدة آيات شريفة .

لذلك نجد ان أمير المؤمنين عليه السلام عاش ثلاثين عاما والى آخر عمره حالة عزاء وحداد وأسى وحزن على فقد رسول الله ﷺ ، ولم يصبغ لحيته قط، حزناً على رسول الله ﷺ وكان لا يتناول أكلة لم يأكلها رسول الله ﷺ مواساةً له ﷺ ؛ وغير ذلك من مظاهر التأثر والتصدع والحداد في حياة أمير المؤمنين عليه السلام التي تبين حجم الاستحقاق الذي يقتضيه ويستدعيه مقدار المعرفة والعلم بمقام ومنزلة رسول الله ﷺ .

---

١. البخاري ج٢ : ٧٠

ومن ذلك يتحصل وجه ماورد في شأن سيد الشهداء عليه السلام انه : (صاحب المصيبة الراتبة) .بحسب ما للبشرية من أجيال وأمم متتابعة .وكذلك وجه ماورد بأنه عليه السلام (صريع الدمعة الساكبة).

فقد روى ابن قولويه باستفاضة وعقد بابا أورد فيه روايات عديدة فيها : (إن الحسين عليه السلام قتيل العبرة).[1]

أي انه سلام الله عليه لايذكره مؤمن ولا مؤمنة من الاولين والآخرين قط إلّا واستعبر وبكى ، وفي أي لحظة من الليل والنهار .

ومنه يظهر : ان التفريط والإهمال والتقليل في إقامة المآتم ومجالس الحزن عليه عليه السلام والتقليل من ذكره أو عدم الإهتمام بزيارته، إنما يكون ناتجاً عن تفريط وتقصير وجفاء، وإلى ذلك تشير طوائف من الروايات المستفيضة .

. وقد ورد في روايات عديدة أن التفريط والتقصير في إقامة مختلف الشعائر الحسينية إنما يوجب ضعف الدين ونقص الإيمان .[1]

---

١. كامل الزيارات باب ٣٦ : ح١

العاطفة والبكاء وتكامل النفس والمعرفة

١- ما سرّ هذا القلق والتحسّس الشديد عند الأنظمة والحكام والدول من هزّات العاطفة بسبب المظلومية.

٢- سرّ ارتباط البكاء بالمظلومية هو أنه رافد في العقيدة والسلوك شيّده الباري سبحانه في أهل البيت عليهم السلام، ليشدّ البشرية لهم تربوياً وعقيدياً، وهو مظهر عظيم لعبودية الله سبحانه من قِبل أهل البيت عليهم السلام لله. وتواضعهم وانكسار ذواتهم أمام عظمة الباري سبحانه.

٣- قد يُعترض بأن الكآبة والغمّ الدائبين والغالبين والحزن المستمر ، كل ذلك يميت النشاط ويبثّ اليأس والشؤم وفقد الأمل ويُبعد الإنسان عن السعادة، بخلاف الفرح والابتهاج والسرور، فإنه باعث على نشاط المجتمع والمنافسة، والرقي

١. كامل الزيارات باب ٧٨.

فيقع الكلام في تمحيص أقسام الفرح والبهجة، والمحمود منها من المذموم والنافع من الضار، وكذلك الحال في أقسام الحزن وتناسبها مع قوى الإنسان الغريزية والإدراكية وحالة التوازن؛ والاعتدال في ذلك.

٤- إنّ في النفس الإنسانية جانباً من القوى العمّالة والتي قد يعبّر عنها بظاهرة الوجدان العاطفي في النفس، وهو جانب لا يقتصر على الإدراك المحض الجاف؛ بل فيه جانب من الإثارة والفتور والنشاط والخمود، وهذا الجانب في النفس منه تنبعث الإرادة والعزم والتصميم على الأفعال، فهو بمثابة المِقود لقيادة النفس.

ومن ثمَّ راعى القرآن الكريم والسنة الشريفة الاهتمام بهذا الجانب في النفس كثيراً، بخلاف المنطق الأرسطي وفلاسفة المشّاء فإنهم لاحظوا جانب القوة الإدراكية فقط، وأهملوا الجانب العملي، وهذا النظام المنطقي لا يؤمّن عصمة فكر الإنسان، فضلاً عن استقامة رأيه، وذلك لما هو مقرر في الأبحاث العقلية والمعرفية، من أن الجانب العملي في النفس مؤثر في الجانب الإدراكي فيها هذا مع أن

الإدراك الذي تناوله المنطق الأرسطي هو الإدراك الفكري فقط دون الإدراك القلبي، والعياني.

والحاصل أن الإنسان لا يتحرّر ولا يكون مختاراً بصرف الإدراك الفكري، والمعرفي عبر المفاهيم، بل بضميمة المحبة وتأثير الكراهة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [١]، فالتحبَّب والتزيين والاستحباب والاستكراه (الكراهة) باب واسع من أبواب تربية النفس وزرع الفضائل، والتوقية من الرذائل، وكذلك العكس، ومن هنا يظهر أن العاطفة هي المدد لبقاء الإنسان على طريق الصواب والحق. ومن ثمَّ جاء التأكيد على الإيمان بعنوان الحبّ، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

وكذلك في الإيمان بأهل البيتعليهم السلام في آية المودة، ومن ثمَّ وردت تكاليف عديدة ومهمة وحساسة في الخطاب والتشريع

---

١. الحجرات: ٧.

٢. آل عمران: ٣١.

القرآني تجاه المحبة والكراهة، وكل ذلك يرسم مدى أهمية مجالس العزاء والرثاء والشعائر الحسينية من جهة تأديتها إلى بناء وإقامة أمر عظيم ألا وهو مودة أهل البيت عليهم السلام، وهو عين الإيمان، فزرع المحبة في القلوب جوهرة نفيسة هي من الغايات الكبرى في الدين. وهذا البيان العلمي مستفاداً أيضا من قول الصادق عليه السلام: «وهل الدين إلّا الحبّ». [(١)]

ويظهر من ذلك أيضاً وجه الحاجة لاستمرار تلك المجالس والمحافل والشعائر بشكل رتيب طوال العام، لأنه يجدّد توليد وبعث المحبة. ووقاية من فتورها وزوالها بات واضحاً في منهج التعليم التربوي، وأن الإنسان لا يتلقى المعلومة بجفاف، ولا يهضمها مجردة بمفردها، بل إن الجانب النفسي له تأثير بليغ في تلقّي المعلومة، ووضوحها وبيانها للذهن، فالجانب النفساني شديد التأثير في قدرة إدراك الإنسان، وقناعته بالمعلومة التي يتلقاها، وكم للمحبة التأثير البالغ في التلقّي والفهم للفكرة، وعكس ذلك بالنسبة إلى الكراهة.

---

١. مستدرك الوسائل ج١٢: ٢١٩.

ومن هنا يتبيّن مدى تأثير العاطفة في التوعية الفكرية، بمفاهيم الدين، وأنه مع الجفاف العاطفي، والتصحر النفسي والفتور الروحي، يصعب حصول الوعي العلمي بالدين ومفاهيمه.

فكم هي الضرورة هامة لدور العاطفة في حصول التنوير العقلي ورقي المستوى العلمي، وهذا بالضبط ما يقوم به البكاء والتفاعل العاطفي الذي يصاحبه من دور خطير في الوعي العلمي بمفاهيم الدين، والإيمان بها والقناعة بأحقيتها..

ومن ثمّ التعهّد والالتزام بها، والتفاعل العملي بمضامينها.

وهذه الغاية النهائية للإيمان والالتزام الديني..

وبخلاف ذلك فإن الجفاف الروحي والجمود النفسي يسدّان ويحجبان الطريق عن التلقي الذهني والإدراك العقلي..

البكاء والعاطفة وخطورة تأثيرها

ولتوضيح ماسبق بنحو البسط نقول : أنّ كثيراً ما يطرح هذا السؤال، هو لماذا هذا التركيز على العاطفة الجياشة في الشعائر الحسينية وإن كان البحث الفكري يشغل مساحة غير هينة وكبيرة في خطاب الشعائر إلا أن جانب العاطفة يحتل سهماً كبيراً وزخماً هائلاً بل نجد ذلك في التوصيات الشرعية الراسمة لروح تلك الشعائر وقوالبها وأطرها، كالنص الوارد (إن الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى) [1]، و(إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور) [2]، و(إن السماء والأرض لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا) [3]و(من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى كتبت له الجنة) [4]

---

١. كامل الزيارات ص٢١٤ ب٣٥

٢. المصدر ص٢٠٢ ب٣٢

٣. المصدر ص٢٠٤ ب٣٢

٤. المصدر ص٢٠٨ ب٣٣

و(فما من عبد شرب الماء فذكر الحسينعليه السلام.. إلا كتب الله له مائة ألف حسنة وحط عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنما اعتق مائة ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد)[١] و(إذا أردت الحسين فزره وأنت حزين مكروب شعثاً أغبر جائعاً عطشاناً)[٢] وفي دعاء الصادق،عليه السلام «وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد اللهعليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا)[٣]، وغيرها مما يجده المتتبع في الآثار الواردة بنحو مستفيض ومتواتر.

فما هو موقع الأهمية الذي يشكله دور العاطفة والإحساس المُرهف والميول النفسية في هداية الإنسان وتكامله واستقامته.

إن الاستقراء في أبعاد مساحة الأحكام الشرعية وقواعدها، يوصلنا إلى وفرة من الأحكام والتكاليف الإلهية المتعلقة بميول وانعطافات النفس مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا

---

١. المصدر ص٢١٢ ب٣٤

٢. الوسائل ١٤/ ٥٢٨

٣. الوسائل ١٤/ ٤١٢

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [1] وفي المقابل ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [2] و﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ... تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [3] و﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ [4].

و﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [5]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [6]. و﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [7] و﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن

---

١. الشورى/ ٢٣.

٢. المجادلة / ٢٢.

٣. الممتحنة/ ١

٤. إبراهيم/ ٣

٥. محمد/ ٩

٦. محمد/ ٢٨

٧. الحجرات/ ٧

تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1]

فالمودة والحبّ واستحباب الأشياء للنفس والتحبيب لها، والكراهة والاستكراه هي من الأفعال النفسانية التي تعلق بها الأمر والطلب الشرعي ليقوم بها الإنسان بلحاظ موارد وموضوعات كما تعلّق بها النهي والزجر الشرعي كي يقلع عن فعلها في موارد أخرى، مما يدّل على كون المودة والحب والتحبيب واستحباب الأمور، والعكس وهو الكراهة والاستكراه هي أفعال اختيارية وتقع تحت إرادة الإنسان ولو بتوسط مقدمات وعبر معدات سابقة يتمكن الإنسان من القيام بها، فهي تقع تحت الاختيار بوسيلة إعدادات مُسبقة، وها هنا نلاحظ أنه كما يدعو القرآن إلى التدبر والتفكير والتعقل وإتباع اليقين والبينات والنهي عن إتباع الظن والوقوع في الريبة والترديد، كذلك نجده يأمر بالحب والمودة والتحبيب أو الكراهة والتكريه في بعض الأشياء والنهي عنها في بعض موارد أخرى.

---

١. البراءة (التوبة)/ ٥٤.

فالقرآن الذي يدعو إلى البصيرة والتبصر والبحث والتعلم يدعو ويوظّف الميول والانعطافات النفسية والأفعال القلبية كذلك، والعلّة في ذلك أن الإنسان لا تتألف مكونات ذاته ونفسه من قوة تفكير وإدراك فحسب، بل تتشكل من مجموعة قوى إدراكية أخرى ومجموعة ومنظومة قوة عملية أخرى، وليس الذي يقود الإنسان بعض قواه الإدراكية فحسب، بل هناك مؤشرات من قوى عملية وإدراكية متنوعة هي الأخرى أيضاً تساهم في قيادة الإنسان وجذبه والميل به إلى مسارات واتجاهات. فمن ثم يخطأ من ينتهج طريق التعليم وحده من دون نهج للتربية، وكما أن التعلم والثقافة لا تقتصر على الناشئة بل هي ضرورة مستمرة للإنسان طيلة حياته، كذلك التربية هي حاجة ملحة للإنسان على امتداد عمره وإن اختلفت أساليب التعليم في النشأ عنها في الكهول، وبحسب اختلاف الأسنان، كذلك في أشكال وأنماط التربية لكل مرحلة من عمر وسني الإنسان، إلا أن تقارن التربية بالتعليم والتهذيب بالتعقل والتزكية بالتفكر أمر لا بد منه، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، [١]وإن من مناهج وطرائق التزكية والتهذيب والتربية هي المحبة والتحبيب والمودة والكراهة والقيام باستحباب الشيء وهو صنع محبته للنفس، واستكراهه وهو صنع كراهته في النفس. فكم من إنسان وكم من مورد يدرك فيه الدليل والبينات ولكنه لا يتبعه لعدم وجود المحبة أو لوجود الكراهة وكم من مقام يتيقن الإنسان فيه بالخطأ والبطلان ومع ذلك يفعله ويتمسك به لمودته أو لعدم كراهته، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [٢]و﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [٣]، أي أن الحب والكره مؤثران في إتباع الإنسان للحقيقة والحقائق ولليقين والدلائل كما ورد أن الإنسان قد يتعامى أو يتصامم بسبب ذلك ومن هنا ندرك خطورة العاطفة والمشاعر والإحساسات على مصير إرادة الإنسان

---

١. الجمعة / ٢.

٢. الزخرف/ ٧٨

٣. هود/ ٢٨

وإن الجانب الفكري الإدراكي والتعليمي ليس هو المؤشر الوحيد المؤثر على الإنسان وإرادته وتوجهه واختياره، بل إن المحبة والكراهة وصورة جمال الشيء أو قباحته في مشاعر النفس أمر مؤثر كبير في الانجذاب النفساني أو النفرة من الشيء، ومن ثم أكد القرآن على مقولة التزيين والتجميل للشيء القبيح حيث يغرى الإنسان إليه رغم سوءه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]

فذكر تعالى أن سبب عدم انقيادهم للحق هو قساوة قلوبهم وتزيين العمل السيئ في نفوسهم وقساوة القلب والتزيين أمران مرتبطان بالجانب العاطفي والمشاعر في النفس وقد أكد على هذين الأمرين في آيات عديدة كسبب للغواية والانحراف واللجاج والجحود والتمرد والطغيان والتكبر والاستعلاء عن الحق إلى الباطل وهذا يرسم مدى خطورة الجانب العاطفي في الروح والنفس الإنسانية، ويبين أن أهميته يوازى أهمية الجانب الفكري والإدراكي وأنه الوجه الآخر لحقيقة الإنسان والجناح الآخر الذي به حركة

١. الأنعام/ ٤٣.

وحراك النفس في مسيرها وكل هذا يرسم لنا جانب من أهمية وفلسفة الجانب العاطفي وأهميته وزخمه في الشعائر الحسينية، حيث يظهر أن من غاياتها تحصيل حالة الرقة القلبية والعطوفة والرأفة، وهي من أعظم الصفات الإيمانية وحالات العبودية لله تعالى، وأنبل الصفات الإنسانية إحياءاً وبعثاً لإنسانية الإنسان.

فلسفة عظمة ثواب للبكاء في الشعائر الحسينية:

فانه قد اعترض على شعيرة البكاء بعدة انماط من الاشكالات:

النمط الاول :

وهذا يتألف من نقاط:

أ ـ استكثار الأجر المذكور في الروايات على البكاء وإقامة المآتم واستبعاد صحتها، مثل ما ورد من الأجر الوافر لدمعة تسكب أو لإغروراق العين بالدمع، فيُستبعد هذا الأجر العظيم على هذا العمل الضئيل، وأن هذا من وضع القصّاص والوّعاظ، وأن عملهم هذا مطرّد في أبواب أخرى كما في الزهد في الدنيا، وثواب الابتلاءات فكيف يكون ثواب من خرج من عينيه دمع مثل جناح البعوضة، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبَد البحر.

ب ـ وبعضٌ أوّل هذا الأجر في الروايات : أنه لظروف خاصة حرجة حيث يصدق فيه عنوان الجهاد في سبيل الله، ولا يصدق ذلك في الظروف العادية.

وبعض آخر حيث اعترف بتواتر الروايات في ثواب البكاء وعدم تطرّق يد الجرح والتضعيف إليها، أوّلها بأنها صدرت حينما كان ذكر الحسينعليه السلام والبكاء عليه وزيارته ورثاؤه وإنشاد الشعر، إنكاراً للمنكر ومجاهدة في ذات الله ومحاربة مع ظلم بني أمية، وهدماً لأساسهم واستنكاراً لسيرتهم ولذلك كان بنو أمية يحاربون ذكر الحسينعليه السلام ويمنعون زيارته ورثاءه والبكاء عليه، ويعاقبون من يقوم بذلك، بالقتل وهدم الدار والطرد والتشريد؛ فلم يكن البكاء والرثاء والزيارة للحسينعليه السلام حسرة وعزاءً وتسليةً فقط بل محاربةً لأعداء الدين، وجهاداً في سبيل الله، وأما في هذا الزمان حيث لا محاربة بين أهل البيت وأعدائهم كحالنا اليوم، فلا يصدق عنوان الجهاد عليه، بل إن ذاكر الحسينعليه السلام في زماننا يُمتدَح ويُثنى عليه ويُعطى الأجرةُ ويشرّف ويكرّم.

جـ ـ وقال بعضٌ من أنكرها: لأن العَمل بمقتضاها يؤدي إلى تعطيل الفرائض والأحكام، وترك الصلاة والصيام كما يُرى من الفسّاق والفجّار، يتكّلون فيما يرتكبون في فعل الفواحش والمعاصي على ولائهم ومحبتهم وعلى ثواب البكاء، مع عدم ارتداعهم عن غيّهم وتعسّفهم.

أجوبة الإشكالات السابقة:

أ ـ يلاحظ عليه:

أولاً: الجهل بحقيقة الجزاء الأخروي، إذ هذا الاعتراض يرد على جميع الأجر والثواب والجزاء المقرّر على الأعمال في دار الدنيا، فأي مساواة أو معادلة بين جزاء أبدي خالد عظيم تقابل مع أعمال زمنية مؤقتة محدودة، والجواب عنه قد بيّنه الإمام الصادق في السؤال: لم خُلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[1] حينما سأله الراوي: لم خلد أهل الجنة فيها وإنما كانت أعمارهم قصيرة وآثارهم يسيرة؟ ولم خُلّد أهل النار وهم كذلك؟ فقال عليه السلام : لأن أهل الجنة يرون أن يطيعوه أبداً، وأهل النار يرون أن يعصوه أبداً فلذلك صاروا مخلّدين .

ثانياً: إن هذا الاعتراض واستكثار الثواب؛ هو مبني على الجهل بحقيقة البكاء، حيث أن حقيقة البكاء تنطوي وتتوقف على وجود المحبة بين الباكي وسيد الشهداء عليه السلام؛ فأهمية البكاء نابعة من أهمية

١. مناقب آل أبي طالب ج٣:٣٨٨.

المودة للحسين وأهل البيت عليهم السلام، ولا يخفى أن مودتهم هي الولاية لهم بعد ولاية الله ورسوله، فهي الركن الثالث في الدين، ولذلك جُعلت مودتهم تعادل عوض وأجر مجموع الرسالة والدين برمّتها. فأعظم الله مودة أهل البيت في آية المودة على مجموع عامة الصلاة والصيام والحج والزكاة وأبواب البرّ كلّها، حيث جُعلت المودة هي أجر يعادل جميع الدين . وهذا الاعتراض يستبعد استعظام ما عظمّه القرآن للجهل بحقائق الدين والوصايا العظيمة للقرآن الكريم، وقد بينت آيات كثيرة أن ولاية أهل البيت عليهم السلام هي المرتبة الثالثة في الدين بعد ولاية الله وولاية الرسول كقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

١. النساء / ٥٩.

٢. المائدة / ٥٥.

ب: ويلاحظ عليه:

أولاً: أنه جهل بحقيقة البكاء التي تقدّمت، والظاهر أن هذا الجهل ناشئ أيضاً من افتقار إلى الشعور الفطري وغياب المشاعر الإنسانية، كما أنه ناشئ أيضاً من عدم الإيمان واليقين بعظم شأن سيد الشهداء عند الله وفي الدين.... وبالتالي ناشئ من قلة العلاقة القلبية والروحية مع سيد الشهداء وأهل البيت عليهم السلام.

وإلّا كيف يحصر البكاء ويفسّره في غاية واحدة، وهي التي مرّ ذكرها في الاعتراض.

ثانياً: كيف افترض ارتفاع وزوال معاداة أهل البيت عليهم السلام في هذا الزمن وها نحن نعيش مع قطاع كبير من الأنظمة في بلاد المسلمين مؤسسة على النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام، هي تحارب شعائرهم، وكل ما ينتسب إليهم. فأين انتفاء الموضوع الذي يزعمه المعترض للبكاء.

وإن أراد أن البكاء والمآتم يعظّم ويُحترم في أوساط أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهذا لا يختص بهذا العصر، بل هو موجود حتى في زمن الأئمة عليهم السلام والزمان الذي صدرت به هذه الروايات المتواترة.

فهذه التفرقة بين الأزمان، مجرد هلوسة وانعدام بصيرة.

ثالثاً: أن هذا المعترض قد افترض أن استنكار المنكر والاعتراض عليه، خاص بالآثار السياسية المؤقتة مع أن فلسفة إنكار المنكر في الدين وبغضه وحبّ المعروف والأمر به في الدرجة الأولى هو ذو مغزى عقائدي قبل أن يكون سياسياً ومن ثمّ تواتر عند الفريقين عن النبي ﷺ : أن من أحب عَمل قومٍ أُشرك في عملهم ـ أي ولو كان أولئك القوم من أعصار سابقة متقادمة في الزمن الأول ـ.

وليست هذه القاعدة النبوية مخصوصة بالتعاصر بين عمل قوم ومن يقوم بالمحبة. كما ورد عن رسول الله ﷺ (المرء يحشر مع من أحب حتى لو أحبّ أحدكم حجراً حُشر معه) [١]

ثم إنّ الغاية السياسية أيضاً من إنكار المنكر وبغضه والتبري منه، ليست سياسية مؤقتة، بل هي سياسية مستمرة، فإن أحد الغايات العظيمة والفلسفات الكبيرة الناتجة من ذلك هي الحيلولة عن تجدّد وقوع ذلك المنكر، وهذه الغاية حكم فطري عقلي عند عامة البشر. ألا ترى كيف أن الدول الغربية يتشدّدون في عصرنا الراهن ادانة

١. الإثنى عشرية :١٥٤.

ونكيرا من الإشادة بهتلر ، والفكر الهتلري والتيارات النازية، والأحزاب ذات الفكر العنصري المتطرف، نظير الفاشية، وفكر موسوليني الإيطالي، مع أن أصحاب هذا الفكر قد بادت شخوصهم وبليت عظامهم، إلّا أن الغرب لا زال مقيماً متشدداً في استنكار وتقبيح أفعالهم وأشخاصهم وفكرهم لئلا تتفجر حروب عالمية جديدة بين البشر نتيجة أفكارهم المدمرة الهدامة .

كذلك الحال نشهده في موقف الشعب الصيني والكوري الجنوبي من جملة قيادات الجيش الياباني، في الحرب العالمية الثانية؛ بل إن إصرار اليابان بهذه السنين على تمجيد وإحياء ذكر أولئك القادة، خلق أزمة بينها وبين الصين وكوريا، وهي أزمة شديدة، وذلك تخوفاً من تجدد حروب بين تلك الشعوب تنشب من أفكار أولئك القادة وهذا يبيّن الفلسفة العظيمة لإنكار المنكر لأصحاب الشر والسوء وإن تقادموا في غابر التاريخ لئلا تتأثر الأجيال اللاحقة بسوء فعالهم وأفكارهم، ولا يخفى أن هذه الفلسفة للتبري وإنكار ظلم الظالمين لا زالت قائمة بالبكاء على سيد الشهداء ضد الفكر الأموي ومنهج يزيد والأمويين.

وأما جواب الإشكال (ج) ففيه:

أولاً: أن دعوى هذا القائل، بأن مقتضى مفاد عظمة ثواب البكاء ترك الصلاة والصوم وبقية الفرائض، فيُنقض عليه بأن هذا المفاد من عظمة الثواب وغفران الذنوب مقرّر عند المسلمين في جملة من الأعمال العبادية وأعمال البرّ، فالحج ـ مثلاً ـ يمحو ما سبق من الذنوب، بل إن جميع الحسنات لها هذه القابلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1]، وهذه خاصية التوبة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

وغيرها من الآيات العظيمة الواردة، في رجاء التوبة، فهل يُدّعى أنها تُغري وتدعو إلى الجرأة على المعاصي، وتدفع إلى

---

١. هود / ١١٤.

٢. النحل / ١١٩.

٣. الزمر / ٥٣.

الفاحشة والتواكل لعمل المعصية، حاشا وكلّا أن يكون مفادها ما ادّعى هذا القائل، وذلك لوجود خطابات قرآنية، ومن سنة النبي وأهل البيت عليهم السلام تحذر عن مثل هذه الأوهام حول خطابات الثواب ورجاء المغفرة، فإن هناك قسم ثان من الخطابات الدينية تتضمن الوعيد والتهديد والإنذار والتخويف.

نظير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ﴾.[1]

حيث تفيد الآية الكريمة أن من الأعمال السيئة ما يجرّ العاصي إلى الكفر بالعقائد الحقة فيُسلب عنه توفيق التوبة، وتوفيق الأعمال العبادية المكفّرة للذنوب، والأعمال الصالحة الماحية للسيئات.

وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[2]

فتفيد الآية أن من السيئات ما تحول بين العاصي وبين النجاة، أي تكون من المرديات والمهلكات والموبقات.

---

١. الروم / ١٠.

٢. البقرة / ٨١.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[١]

ـ وظاهر وواضح لغة التهديد في الآية الكريمة.

ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢]

وغيرها من الخطابات القرآنية، ومن السنة المطهرة التي فيها بالغ التهديد والوعيد إلى درجة لو اقتصر الناظر إلى خطابات الوعيد والإنذار، لحصل لديه قنوط من رحمة الله، ولكن النظرة المجموعية لخطاب الثواب والمغفرة مع الخطاب الثاني، يوازن المسلم والمؤمن في مسير متعادل تربوي بين الخوف والرجاء وهذا التوازن هو الذي يوجب تكامل وتربية الإنسان، كما ورد أن المؤمن هو من تساوى الخوف والرجاء في قلبه[٣]، فلا يشتد فيه الخوف بزيادة على مقدار

---

١. العنكبوت / ٤.

٢. الجاثية / ٨١.

٣. وسائل الشيعة. ج١٥ :٢١٦ .

الرجاء، كما لا يشتد فيه الرجاء زيادة على مقدار الخوف، بل كل ما اشتد خوفه اشتد رجاؤه بقدره، وكلما اشتد رجاؤه بدرجات، اشتد خوفه بقدر ذلك أيضاً، وهذه حالة توازن تربوي بالغ الأهمية، ومن ثمّ ورد أن: ((الفقيه كل الفقيه من لم يؤيس الناس من روح الله ولا يؤمنهم مكر الله ولا يقنطهم من رحمة الله ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم)) [1]، والمراد أن الفقيه الذي يفهم الدين بأنه هو ما اشتمل عليه من القسمين من الخطاب و أن لا يرجّح كفّة الخطاب الأول على الثاني، ولا كفة الخطاب الثاني على الأول، بل يوازن بين الخطابين، ومن ذلك يُعلم ضرورة الخطاب الأول، وهو خطاب الثواب والمغفرة والرجاء، بقدر ضرورة الخطاب الثاني وهو خطاب الوعيد والإنذار والتهديد والعقاب، ولو اقتُصر على الخطاب الثاني لأدّى إلى الكفر، لأنه يوجب القنوط من رحمة الله واليأس، وهو كفر بالله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]

---

١. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٠٠

٢. يوسف / ٨٧.

فالإيمان لا يقوم صرحه إلّا بهاتين الدعامتين والركنين، الرجاء والخوف. وهدم أحد الركنين هدم للإيمان، فاتضح أن هذا القائل ليست له نظرة سديدة حول حقيقة الإيمان، وأن مقتضى قوله، يوجب الإيمان ببعض الكتاب دون البعض الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [١] وهذا لا يستقيم بحال.

وإلّا لو اقتصرنا على الخطاب الثاني أيضاً دون الأول، لزم من ذلك كثير من المحاذير الماحقة للدين، فلا يعتدل صراط الدين القويم إلّا بالتوازن بين الخطابين والجمع بينهما بالانضمام كما ورد: (أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) [٢] ، أي بين الخوف والرجاء، واتضح أن هذا القائل ينظر بعين واحدة لا بعينين، ومال إلى بُعد واحد من أبعاد الدين وغفل عن البعد الآخر مع أن الحكمة الإلهية في الخطاب الديني لإصلاح العباد إلى يوم المعاد، هو على الجمع بين الخطابين من دون الإنكار والجحد بأحدهما.

---

١. البقرة / ٨٥.

٢. امالي السيد المرتضى ج٢: ٢

أما ثانياً:

فدعوى القائل بأن الذي يدفع ويغري من يرتكب المعصية وبعض الكبائر هو الوَعد بالثواب، فهذه دعوى غير مطابقة للحقيقة ولا تمت للواقع بصلة، فإنّ أغلب المقتضيات والدواعي إلى ارتكاب المعاصي ليس إلّا الشهوات والغرائز، وتزيين الشيطان بالسوء والفحشاء، وهذا طابع عام في أفراد البشر كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [1]. ومع هذا الوصف لحال الإنسان فارتباطه بسُبل النجاة عاملٌ إيجابي عظيم يفتح له باباً للرجوع إلى طريق الصواب، بخلاف ما لو قُطعت كلّ خيوط الارتباط بأبواب الصلاح والفلاح فإن ذلك يوجب التردّي في هوة سحيقة يصعب أمل النجاة منها؛ وهذا مضمون ما ورد «في الأثر اتق الله بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق» [2]

كما هو الحال لو كان المرتكب للكبائر والفواحش غير تارك للصلاة أو للصيام أو للحج أو لفعل خير من الخيرات أو للزوم

١. الشمس / ٨٥٧

٢. وسائل الشيعة ج ١١: ١٩١.

المساجد، فإن هذا الارتباط والصلة بهذه النافذة من أبواب الخير، لا يسوغ قطعه على العصاة وأصحاب الكبائر.

إذ أنه حلقة من سلسلة النجاة، وطريق من طرق الهدى، وكيف توصد هذه الأبواب، بل يكون الحال حينئذٍ من قبيل قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فصلاح العمل كالصلاة والصوم أو أي برّ من أبواب الخير لا يُنكر فضله لأجل ارتكاب الفاعل المعاصي من جهة أخرى، وإن كان ارتكاب المعاصي يؤثر سلباً في قبول العمل الصالح، لكنه لا يتغاير عمّا هو عليه من حقيقة، كما هو مفاد الآية المحكمة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

---

١. الزلزلة / ٨٥٧

٢. الأنبياء / ٤٧.

ـ وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.[1]

وغيرها من الآيات الذاكرة مثقال حبة، أو مثقال ذرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، الدالة على عظمة عدل الله سبحانه.

فكيف يستقبح من أهل المعاصي الأعمال الصالحة منهم، ويستنكر عليهم المشاركة والإسهام في أعمال البر... بل هذا الاعتراض عليهم هو عين الإغراء لهم بالتوغل في المعاصي والانقطاع عن التشبث بأبواب الرجوع إلى الصلاح والتوبة والاستغفار.

والثواب المرجو على فعل الصلاة أو أبواب البرّ أو على الشعائر الحسينية هي في الحقيقة محفزة وموطّدة لبقاء تمسك العصاة بخيط من خيوط التوبة والإنابة وبصيص أمل من المغفرة الألهية، وليس الوعد بالثواب يكون سبباً لإيقاعهم في المعاصي.

---

١. لقمان / ١٦.

إعتراضات اخرى على البكاء:

النمط الثاني :

ماورد في مقدمة كتاب لمقتل الحسين عليه السلام ، انه لولا امتثال أمر السنّة والكتاب في لبس شعار الجزع والمصاب لأجل ما طُمس من أعلام الهداية وأُسّس من أركان الغواية، وتأسّفاً على ما فاتنا من تلك السعادة تلّهفاً على أمثال تلك الشهادة، وإلّا كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى (وهي سمو الحسين عليه السلام وأصحابه إلى مقام لقاء الله ببذل أرواحهم وأجسادهم، وتسابقهم لنيل الشهادة). أثواب المسَرّة والبشرى، وحيث أن في الجزع رضا لسلطان المعاد، وغرضاً لأبرار العباد، فها نحن قد لبسنا سربال الجزع وأنسنا بإرسال الدموع، وقلنا للعيون جودي بتواتر البكاء، وللقلوب جدّي، جدّ ثواكل النساء، فإن ودائع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرؤوف أبيحت يوم الطفوف، ورسوم وصيته بحرمه وأبنائِه طُمست بأيدي أمته وأعدائه..

فلم لا تواسون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء..

ـ وفي كتابٍ آخر ورد: (أقول ولعلّ قائلاً يقول: هلّا كان الحزن الذي كان يعملون من أول عشر المحرم قبل وقوع القتل... ووقت السرور مسرورين).

ـ ويرد عليه:

أولاً: أن سمو سيد الشهداء عليه السلام إلى الرفيق الأعلى قد حصل لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء ولسيد شباب أهل الجنة، مع أن تفجّع أهل البيت عليهم السلام على وفاة النبي أمرٌ بالغ الذروة، وشدة حزن الزهراء عليها السلام على أبيها لم يتحمّله أهل المدينة لعظمته، وحزن أمير المؤمنين عليه السلام على شهادة الصديقة هو الآخر وكذا حزن الحسنين كان بالغاً. وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام تدلّ على شدة وبقاء حزنه إلى آخر حياته، على فقدان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء عليها السلام (جواب أمير المؤمنين لمن سأله عن سبب عدم خضابه).

وفعلُ أصحاب الكساء هو أكمل السنن وأرفعها، كيف يغفلون عن الفرح لو كان حقاً لا باطلاً. وكذلك حال سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم عند استشهاد عمّه حمزة بل قد أغمي عليه صلى الله عليه وآله وسلم من البكاء كما مر . وندب بإقامة المآتم عليه، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عمّي حمزة لا بواكي له»؛ وكذلك موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في وفاة أبي طالب وخديجة عليها السلام. حتى

سمّىﷺ ذلك العام بعام الحزن.. وكذلك بكاء أمير المؤمنين عليه السلام وحزنه على أبيه أبي طالب وعلى أمه فاطمة بنت أسد، وعلى استشهاد أخيه جعفر الطيار.

وكذلك بكاء سيد الأنبياءﷺ عند موت ابنه إبراهيم وقوله : (إن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلّا مايرضي الربّ) [(١)]

ـ وقد اعترض عليه ﷺبعضهم، فأجابﷺ: البكاء من الرحمة...؟ [(٢)]

وكذلك حزن كل إمام على شهادة والده من الأئمة، وفي دعاء النبي إبراهيم أن يرزقه الله بنتاً كي تندبه بعد وفاته. [(٣)]

ـ وقد ورد في رجال الكشي: إن الباقر عليه السلام أوصى ابنه الصادق بمال ينفقه ، على نوادب يقمن المأتم عليه في منى يندبنه ثمان حجج.. [(٤)]

---

١. وسائل الشيعة : أبواب الدفن
٢. السيرة الحلبية ج٣: ٢٩٥
٣. وسائل الشيعة: أبواب مقدمات النكاح وأبواب أحكام الأولاد
٤. التحفة السنية ٣٧٥ .

ـ فكل هذه السيرة وغيرها، لا تجد موضعاً من الموارد فيها إقامة فرح.. ولو أن إقامة الفرح كان حقاً لعُمل به ولو في بعض الموارد.

ثانياً: وقد ثبت في مصادر الفريقين كما مر؛ أن السماوات بكت دماً، والجنة ومن فيها؛ وجهنم ومَن فيها حتى أن أهل النار لم يشغلهم ما هم فيه من العذاب عن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام لشدة الحرقة والحزن والأسى، مع أن مقتضى لقاء أهل الآخرة بمقدم سيد الشهداء عليه السلام عليهم حسب زعم هذا القائل هو أنهم يفرحون ويُسرّون، مع أن لقياهم وإن كان مسرّة وفرحٌ به، إلّا أنه لم يشغلهم عن موجب الحزن مما يدلّل على أن جانب الحزن أشد خطورة ورعايةً من جانب الفرح، وأنه لا يسوغ إهمال عظمته وأهميته؛ بل قد ورد أن الملائكة ضجّت إلى الله عند مقتل الحسين عليه السلام (الرواية).[1]

ثالثاً: إن الفرح لا محالة سيكون تضامناً مع بني أمية والظالمين، كما ورد في زيارة عاشوراء، ويوم عاشوراء يوم فرحت به آل أمية وآل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين عليه السلام....)، فيكون فعل المؤمنين

١. الكافي ج١ :٤٦٥

بإقامة الفرح والسرور شماتةً بأهل البيتعليهم السلام. وتأييداً لأعداهم ومناوئيهم.

ولا زالت سنة العداء والنصب لأهل البيتعليهم السلام قائمة، بحيث يسمون يوم عاشوراء بـ(عيد الظفر)....

رابعاً: أن ما أفاده من البُعد الأخروي في واقعة الطف، وهو بُعد جمالي من إسم الجميل ونحوه من الأسماء الجمالية، لا يزيل البعد الآخر من مظهر الاسم الأخر الإلهي (العدل) الذي تجلّى به في عالم الدنيا، وهو يقتضي الانعطاف ورقة القلب، وسيل الدمعة، وانكسار القلب، لاسيما عند قوله تعالى في الحديث القدسي: (أنا عند المنكسرة قلوبهم) فمقام الجمع أكمل في قاعدة الأسماء الإلهية وتجلياتها من الاقتصار على اسم إلهي واحد، لاسيما وأن الاسم الجلالي كالمنتقم والعدل والحاكم قد غلب تأثيره على الاسم الجمالي الخاص (الرحمن) بالرحمة الخاصة حتى في ملكوت السماوات والأرضين كما تشير إليه الروايات مما تقدم ذكره من بكاء أهل السماوات والأرضين والجنة والنار. وإن كان هذا الاسم الجلالي هو منطوي تحت اسم جمالي بالمعنى العام الرحمن والرحيم بالرحمة العامة التي وسعت كل شئ ، وهذا الخطأ وهو عدم ملاحظة

مجموع ومقام الجمع في الأسماء الإلهية هو الذي يقع فيه الصوفية وجملة من العرفاء كثيراً في جملة من أبواب المعرفة، حيث يلحظون مقتضى بعض الأسماء الإلهية، ويغفلون عن مقتضى اسم إلهي آخر، أو بعض الأسماء الأخرى، ولا عجب في ذلك فإن مقام الجمع للأسماء فضلاً عن مقام جمع الجمع صعب المنال، ولا يستقيم عليه إلّا بما أوصاه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في وصيته للمفضّل بن عمر من أنه لا يُحفظ الظاهر إلّا بالباطن كما لا يُحفظ الباطن إلّا بالظاهر..

ومن استقام على ثوابت الشريعة وتمسّك بمحكمات الدين من الثقلين قد استمسك بالعروة الوثقى ونجا عن الإفراط والتفريط.

وقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات[1] روايات مستفيضة منها : انه لم يُرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وُجد تحته دم عبيط.

وبكاء الجن والطير عليه عليه السلام حتى ذرفت دموع الوحش ..

---

١) مصادر عن البكاء: باب ٢٤، ٢٥، ٢٦/ كامل الزيارات، ٢٧، ٢٨.

وبكاء السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهنّ، ومن ينقلب عليهن، والجنة والنار ومن فيهما، وما خلق ربّنا، وما يُرى وما لا يُرى.[1]

وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة عليها السلام، وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا، وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكية، إلّا الباكين على جدي الحسين فإنه يُحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يُعرضون، وهم حُدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش، وفي ظل العرش، لا يخافون سوء الحساب، يُقال لهم أدخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه.[2]

و هناك أربعة آلاف ملك نزلوا لنصرة الحسين، ففاتهم نصرته فهم عند قبره شعث غبر.

---

١) كامل الزيارات : باب ٢٦/ ح ٤، ح٧ معتبرة الفضلاء.

٢. كامل الزيارات : باب ٢٦/ ح ـ باب ٢٧

الصادق عليه السلام: «أحمّرت السماء مثل العلقة حين قُتل الحسين عليه السلام سنة».[1]

وقد وردت روايات متعددة تتضمن الثواب العظيم للبكاء على الحسين عليه السلام .[2]

ـ عن زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصَل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصَل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا، وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكية إلّا الباكين على جدي الحسين عليه السلام، فإنه يُحشر وعينُه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّنٌ على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون. والخلق يُعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام؛ تحت العرش وفي ظل العرش، لا يخافون الحساب...

1. كامل الزيارات باب ٢٨/ ح٩ ح٧ ح٢٧ ـ باب ٢٦: ٩ أحاديث ـ ٢٧: ٢٠ حديث ـ ٢٨: ٢٧ حديث.
2. كما ورد في باب :٣٢ في صحيح محمد بن مسلم

فيقولون الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر، وأهوال القيامة، ونجّانا ممّا كنا نخاف». [١]

ـ وعن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال: سألته في طريق المدينة، ونحن نريد مكة، فقلت: يا بن رسول الله ما لي أراك كئيباً (حزيناً) منكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع، لشغلك عن مسألتي، فقلت: وما الذي تسمع؟ قال: ابتهال الملائكة إلى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين، وقتلة الحسين عليهما السلام ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم». [٢]

ـ بل وردت روايات تدل على استحباب الاستمرار ودوام البكاء على سيد الشهداء عليه السلام. [٣]

ـ وعن الصادق عليه السلام: «إن الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمةً لنا ـ وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا». [٤]

١. كامل الزيارات: باب ٢٦/ ح٨.
٢. كامل الزيارات: باب ٢٨/ ح٢٣.
٣. كامل الزيارات: باب ٣١، ٣٠
٤. كامل الزيارات: باب ٣٢/ ح٧

ـ وعن الصادق عليه السلام: «قطرة من دموع الباكي على الحسين عليه السلام تطفئ حرّ نار جهنم».

ـ وعن الصادق عليه السلام: «وإن الموجع قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض».[1]

ـ وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «وما من عينٍ بكت لنا إلّا نعمت بالنظر إلى الكوثر، وسقيت منه من أحبنا وإن الشارب منه ليُعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر ممّا يعطاه من هو دونه في حبنا».[2]

ـ و منها:

ما رواه في كامل الزيارات، في مصحح أبي هارون المكفوف: «من ذكر الحسين عنده، فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون الجنة»..[3]

---

١. كامل الزيارات : باب ٣٢/ ح٧.

٢. كامل الزيارات : باب ٣٢/ ٧.

٣. كامل الزيارات :باب ٣٣/ ١.

ـ ورواه في ثواب الأعمال: ص١٠٩.

ـ وقد روى في كامل الزيارات قولهم عليهم السلام بطرق مستفيضة، أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعةً حتى تسيل على خدّه، بوّأه الله بها غرفاً في الجنة يسكنها أحقاباً».

وفي بعضها: «حرم الله وجهه على النار».

وفي بعضها: «غفر له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر». [١]

١. كامل الزيارات : باب ٣٢.

الموقف الصوفي العرفاني المعترض على البكاء والعزاء:

قال جلال الدين الرومي (مولوي، مثنوي) في الكتاب السادس من مثنويات: أن شاعراً دخل مدينة حلب يوم عاشوراء وتفاجئ بطقوس أهلها في مثل هذا اليوم وهي إقامة العزاء والمآتم على سيد الشهداء، وحيث كان الشاعر لا يعرف صاحب العزاء، أخذ يسأل الناس عنه، علّه يشارك بشعره في رثائه، فقالوا له: اليوم ذكرى استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: لكنه مات قبل قرون، أمّا العزاء والمآتم فأقيموه على أنفسكم فهو ليس بحاجة له، لأنه أسعد إنسان في مثل هذا اليوم، وأنشد يقول:

أبكوا علـــى غفلتكـــــم لأ ن الجهل أبشع مــراتب الموت
الروح تشمخ إن تخلّـت عن الجسد فلم نبكي ويعرونا السواد
إن هذا لسليل المـــــــصطفى بعروجه غنّوا وكـــــونوا فرحين
فهو قد نال بذلك سعادة أبدية وتخلّى عن قيود الدنيا الغرور[1]
فينبغي لنا أن نبتهج ونفرح لكل من يهجر هذه الدنيا

---

١. الأبيات مترجمة من الفارسية.

جواب الشبهة والاعتراض :

أن في الدعوة إلى الفرح إغضاء وإهمال وإغفال عن قُبح المنكر الذي ارتكبه الظالمون في حق الحسين عليه السلام، وتبييض لظلامهم وتغطية لقباحة ظلمهم، وبالتالي رضىً وذوبان في سوء فعلهم، لأن مَن رضي عمل قوم أُشرك معهم.

وأين البراءة من الظالمين وأهل الباطل.. فالبكاء ينطوي على فلسفة عظيمة هي التبري من فعل الظالمين، وقد ورد أن أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله والبُغض في الله. وكما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١]، والفرح رضا بما فعل أهل الباطل في التعدّي على حرمات الله ورسوله، بينما البكاء والحزن والأسى عبارة عن نفرة وبراءة وسخط على تلك الأفعال السيئة الشنيعة.

فمن الواضح أن هذه الدعوى وهذا المنهج هي دعوى لذوبان وخلط الحق بالباطل، والفضيلة بالرذيلة، لكي لا يتميّز، ولا يكون فرقان في البين.

---

١. المجادلة / ٢٢.

وهذا نهج اختطّه الصوفية والعرفاء لأنفسهم، لتبنّيهم التولّي من دون التبري.

والرضا من دون سخط، والتحسين من دون تقبيح، والجنة من دون نار، والثواب من دون عقوبة، وأسماء الجمال من دون أسماء الجلال. فهو إيمان ببعض الكتاب وكفرٌ ببعض آخر. ومن ثمّ خالفت سيرتهم سيرة النبي وأهل البيت عليهم السلام في جملة من الموارد، ومنها هذا المورد، مما قد استفاضت روايات الفريقين في بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة وأهل البيت عليهم السلام على مصاب الحسين عليه السلام ولعن قاتليه وكذلك ما ورد مستفيضاً في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام .. لذا لا ترى لفلسفة اللعن تجاوب لدى الصوفية والعرفاء مع أنها سنة إلهية في القرآن، وسنة نبوية في الحديث والسيرة، وسنة الأئمة الميامين، لا ترى لهذه السنة أثراً في أدبيات الصوفية والعرفاء..

مع أن التحلية لا تتمّ إلّا بالتخلية، واكتساب الفضائل لا يتم إلّا بنبذ الرذائل، وإقامة التوحيد لا يتم إلّا بنفي الشريك.

ومن ألوان وطابع هذا النهج هو ما يؤدي إليه من الانعزال عن المسؤولية الاجتماعية وعن التصدي للإصلاح الاجتماعي والتغيير ومواجهة الفساد، والاقتصار في التركيز فقط على البعد الروحي

الفردي من دون اكتراث بجانب الحياة الاجتماعية والظواهر المنتشرة فيها، فهي تقود إلى نحو من العزلة المذمومة، وحبس الدين عن مسار الحياة الاجتماعية والسياسية والإبتعاد عن المسؤوليات الإجتماعية والسياسية.

إعتراض السلفية على البكاء:

قال السلفية: أن بكاء الشيعة هو بسبب تأنيب ضميرهم مما ارتكبوه أنفسهم من قتل الحسين عليه السلام، شعوراً بالخطيئة، وترويحاً للضمير من الذنب.

وفيه: أولاً: أن المعترض، يعترف بأن مسؤولية قتل سيد الشهداء عليه السلام التي ارتكبت في سنة ٦١هج، يتحمل وزرها الأتباع والأبناء والأجيال اللاحقة، ولو تطاولت قروناً مديدة إذا كانوا راضين بأفعال أولئك.

وهذا يفتح معنى آخر وهو لزوم التبريّ من قتلة سيد الشهداء، ومما ارتكبوه من ظلم في حق أهل البيت عليهم السلام، فلماذا لا نرى هؤلاء المعترضين لا يقومون بالحداد وشعائر الحزن على سيد الشهداء؟، ولماذا لا يستنكرون كل عام هذا القتل والظلم، بل نراهم يستنكرون مواساة الحسين عليه السلام في ذلك الحزن الذي هو مواساة لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء.

ثانياً: من البيّن تاريخياً أن الكوفة لم تكن مذهبها آنذاك هو مذهب التشيع كمذهب طاغي على أهلها؛ بل كان شيعة أهل البيت

أقلية في الكوفة، وقد كُتب في ذلك وحُرر الكثير من الرسائل المعتمدة على المصادر التاريخية القديمة.

ثالثاً: أن المعترض، لا يوجد في قاموسه فكرة المواساة لسيد الأنبياء ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في هذا المصاب الجلل ويستبطن اعتراضه التنكّر للحزن على سيد شباب أهل الجنة مما يكشف عنه رفضه لفضل سيد الشهداء عليه السلام في الدين وعند الله عز وجل.

ولا عَجب في ذلك بعد إعراضه عن قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.

ركنية الحزن والأسى في ماهية الشعائر الحسينية

قد يرد إعتراض أن شعائر عاشوراء هي شعائر حزن ومصيبة، مضادة لمشاعر التفاؤل والفرح والاستبشار، بل هي متضمنة للأسى واللوعة والحداد، ووجدان مضطرب وتأنيب للضمير، ومشاعر عاصفة، تُنقل من جيل إلى جيل، لاسيما وأن شعائر عاشوراء هي في مستهلّ السنة الهجرية، بينما يستهلّ البشر في بداية سنتهم بمشاعر الفرح والأمل، نجد أن الشعائر الحسينية تبث الحزن والهمّ والكآبة والإياس.

والسبب في كون الشعائر العاشورية، تأنيباً لضمير الشيعة ويمارسونها كتكفير للذنب بجلد الذات والنفس، كعقوبة يكفرّون بها ذنوبهم وخطاياهم..

وتقصيرهم حيث خذلوا الحسين عليه السلام وقاموا بقتله أو الإعانة عليه.. لأن الكوفة حاضرة التشيّع الأولى.. هي التي قتلت الحسين عليه السلام.. وهناك إحساس جماعي بالندم، لعدم نصرته عليه السلام في خضمّ تذكّر أحداث المأساة.. في أعماق اللاوعي الشعبي، وشعور

مرير بالهزيمة الحضارية التي تعيشها الأمة.. فتتفاقم المعاناة والتخلّف والتمزّق..

جواب الإعتراض:

١ – انه مبني على الغفلة والجهل بحقيقة البكاء، ودواعي البكاء ومناشئه وإيجابياته.

٢ – تخيّل أن داعي وهدف العزاء ناشئ من تأنيب الضمير، وأن العزاء واللطم والتطبير، أسلوب من إقامة العقوبة على النفس وجلد الذات، بينما الحقيقة غير ذلك فإن البكاء ناشئ من فرط المودة لقرب النبي ﷺ والمعرفة الإيمانية بفضائلهم ومقاماتهم عند الله سبحانه وفي الدين، وناشئ من شدة الإستياء لقبح ظلم الظالمين لهم، وهتك حرمة الله تعالى وحرمة الرسول فيهم.

٣ – منهج أهل البيت أصدق وأحق منهج بالطابع السلمي، واحترام كرامة الإنسان.

امتزاج الحزن على أهل البيت عليهم السلام بالإبتهاج بهم:

إن الكثير يحسب أن مراسم العزاء والحزن على أهل البيت عليهم السلام، متمحضة بالهمّ والغمّ واللوعة والأسى والتفجّع... بينما واقع الحال أنا نشاهد امتزاج هذه الحالات بحالات الشوق والابتهاج والارتياح والانبساط النفساني، وذلك حيث يتم استعراض مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وما أولاهم الله سبحانه من كرامات في الدين والدنيا والآخرة.. فإن استعراض ذلك، وهو باب واسع لا ينتهي إلى حدّ، يتم في مراسم عاشوراء وفي أيام الوفيات، وأيام إقامة العزاء... وهذا ملحوظ بكثرة، فإن مجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام لا تخلو من ذلك قط، ومؤشر على أن حقيقة الجو النفساني التي تربيه الشعائر الحسينية وأهل البيت، يتزاوج فيه الحزن على مظلوميتهم والفرح لإيتاء الله لهم جميع الكرامات والمقامات السامية ..

فيكون الحزن على مصابهم.. والبهجة بكرامات الله لهم... فليس كآبة محضة بل ممتزجة مع عظم الأمل وكبير الرجاء، وشدة الثقة بزلفى الباري تعالى لهم عليهم السلام .

وكذلك تقترن اللوعة مع الانبساط.. والدمعة مع تهدّل الوجه، وهذا ممّا يعطي جانباً تربوياً عظيماً متوازناً في تربية النفس الإنسانية.. فإنّ الحزن والأسى قطيعة وتبري عن الانحراف الذي سار به الظالمون من أعداء آل البيت عليهم السلام، وما ارتكبوه من جنايات في حقهم عليهم السلام.. بينما الفرح انجذاب للفضيلة والكمال، وللمعالي والمكرمات.. وهذا ما نجده في ما ظهر على سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء.. فإن أرباب المقاتل قد نقلوا عنه كلا الحالتين.. فنُقل شدة بكائه وتفجعه على ابنه علي الأكبر وأخيه أبي الفضل العباس وذويه وأصحابه، كما نُقل أيضاً أن وجهه يزداد تهللاً وإشراقاً كلما قربت شهادته.. في قول الراوي: «... ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه»[1].

---

١) لواعج الأشجان ص ١٨٤.

وكذا قوله عليه السلام: «خطّ الموت على ولد آدم... مخطّ القلادة على جيد الفتاة» .[1]

فترى أن كلامه عليه السلام قد اشتمل على كلا الأمرين:

على ذكر المصاب الجلل والظلامة العظمى، وكذلك على قمة الأمل والفرح والسعادة من لقاء أسلافه العترة الطاهرة..

وهذا التوازن عامل تربوي عظيم، فيه حِكم أخرى بديعة، فإنه يحافظ على النفس من الغرور والاغترار بالأمل، وذلك بإذاقة النفس مرارة المعاناة.. نظير الجمع بين صفتي الخوف والرجاء المؤثرة في تكامل النفس بتأثير بليغ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾... وهذا نجده جلياً في خطاب العقيلة عليها السلام في مجلس ابن زياد: «.... ما رأيت إلّا جميلا هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم»[2].

وكذلك خطابها في مجلس يزيد فإنّها في حين نعت الحسين عليه السلام، إلّا أنها أيضاً ذكرت الأمل وعلو الإيمان بالفرج، حيث

---

١) مثير الأحزان ص٢٩.

٢) مثير الأحزان ص٧١.

قالت: والى الله المشتكى وعليه المعول، فكد كيد واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا [١].

ومن ذلك نخرج بقاعدة تربوية روحية معرفية اعتقادية وخلقية أن المؤمن لا بد له في ترويض روحه، وصقل عقيدته من اقتران وانضمام كلا الجانبين لديه.. أي استعراض البلاء مع استعراض الجزاء الإلهي الوافر، الذي يسمح للنفس بالقوة على الصبر والشدائد، ويزيد من تحمّلها ونشاطها وحيويتها.. مع تأديب النفس بالمرارة كي لا تطغى وكذلك الحال، على المستوى المعرفي الاعتقادي، فإن قضاء الله وقدره كما اشتمل على البلاء، فقد اشتمل على جزاء النعيم والفوز العظيم..

كما هو الحال في رغيد العيش في طريق الحرام والباطل، هو ذو عاقبة أليمة، ومرارة عظيمة.. وبذلك تتزّن رؤية الإنسان وبصيرته تجاه حقائق الأمور..

ثم على ضوء ما تقدم يظهر وجه مزج أتباع أهل البيت عليهم السلام لذكر مصائبهم عليهم السلام حتى في أيام مواليدهم وأفراحهم..

---

١) لواعج الاشجان ص ٢٣٠.

أقوال الأئمة في ذلك :

فقد وُصف الامام الحسين عليه السلام في عدة من الزيارات والروايات بأنّه صاحب المصيبة الراتبة..

ويستفاد من هذا الحديث والزيارة الشريفة، أن ذكر مصيبة سيد الشهداء بالعزاء وإقامة مجالس النوح والرثاء وغيرها من آليات الشعيرة، يكون فعله في التشريع مداوم، دائب ودوري في كل يوم وفي كل ساعة، ولا يقتصر الدليل على ذلك بهذا الحديث والزيارة الشريفة، بل إن الحثّ المتواتر في الروايات على زيارته في كل وقت، وفي كل يوم، من بعيد ومن قريب هو الآخر دال على ذلك أيضاً، لأنّ زيارته عليه السلام متضمنة لرثائه وذكر مصابه والبكاء عليه. وهذا المنحى والديمومة في الأوقات هو الآخر يستفاد من متواتر الحث على زيارة النبي صلى الله عليه وآله، والوصي عليه السلام والصديقة عليها السلام، وباقي الأئمة عليهم السلام. حيث تضمنّت زياراتهم، استعراض ما جرى عليهم من المصائب والمحن، وهو بمثابة مجلس رثاء وتشيد عزاء.[1]

١) رؤيا السيد باقر الموسوي الهندي للإمام الحجة المهدي (عج) ليلة عيد الغدير كئيباً حزيناً فحينما سأله السيد عن سبب ذلك مع أن المناسبة هي للفرح والسرور، أنشئ الإمام (عج) هذا البيت:

ولا يتنافى ذلك مع القاعدة المستفيضة عنهم عليهم السلام في وصف الشيعة: «أنّهم يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»[1]، فإن المطلوب ليس التوقيت بالزمن فقط، بأن يكون فرح الشيعة في أوقات فرحهم، وحزنهم في أوقات حزن العترة عليهم السلام، كما ورَد عن موسى بن جعفر عليه السلام يظهر عليه الحزن بدخول أول محرم، ويشتدّ معه كلما قرب من يوم العاشر.

قال الرضا عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام»[2]

لا تراني اتخذتُ لا وعلاها بعد بيت الأحزان بين سرور

مأساة الزهراء: ٢٧

١) الخصال: ٢٨٧

٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩١.

. وكما ورد عن الصادق عليه السلام: «أفي غفلة أنت، أما علمت أن الحسين عليه السلام[1] أصيب في مثل هذا اليوم» ، وقد ورد النهي عن صيامه.. لأن الصيام يُعدّ مظهراً من مظاهر الفرح والبهجة.

فإن توقيت فترات زمنية للحُزن وهي التي وقعت فيها حوادث المصاب لا ريب فيه، وكذلك توقيت الفرح بأزمان وقعت فيها مسرات لهم لا ريب فيها أيضاً..

ولكن مفاد القاعدة الشريفة أعم من ذلك حيث يُراد من فرحهم هو أسباب الفرح، كبركة مواليد المعصومين إذا ذُكروا ولو في غير أيام الميلاد.. أو بما لهم من مشاهد شرّفها الله بهم، مثل حادثة الغدير، والمباهلة وحديث الكساء، وميلاد المهدي(عج)، إلى غير ذلك من مناسبات الإبتهاج وذكريات الفرح، فإنها كلها يُستبشر بها، ويُبتهج بها، في أي وقت ذُكرت، وكذلك الحزن إنما يكون لأسباب حزنهم، يتحقق في أي وقت ذكر.. كما روي عن الامام السجاد عليه السلام من شدّة بكائه وحزنه كلّما ذكر أباه الحسين عليه السلام استعبر

---

١) وسائل الشيعة ج١١ ص٤٥٩.

وبكى... وكذلك الامام الصادق عليه السلام كان إذا ذكر جده الحسين عليه السلام، يبكي ويترك الأكل في ذلك اليوم.[١]

*　　*　　*

١) الخصال للشيخ الصدوق ص:٢٧٣

المحتويات

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (418) لسنة ٢٠١٣م

تم الكتاب

بحمد الله تعالى





مركز الأمير عليه السلام الثقافي

www.malameer.com

info@malameer.com